بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمـــدك اللهم على ما هديت، وأشكرك على ما أنعمت به وأوليت، وأصلى وأسلم على خاتم أنبـــيائك، صلاة وسلاماً دائمين، وأحتسب ما بذلت فى هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، فتقبله منى.

وبعد :

موضـــوع هذا البحث دراسة نصية لأثر المتنبى فى شعر القرن الخامس الهجرى، وهو أثر قوىٌّ بـــين، أثار اهتمام الباحث منذ دراسته الجامعية الأولى، حينما رآه لافتاً فى بعض الشواهد الشعرية التى زخرت بها كتب أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام. مما جعل الباحث يتتبع هذا الأثر فى دواوين أشهر شـــعراء القرن الخامس على وجه الخصوص، وبعد النظرة المتأنية وجد الباحث أن هذا الأثر يمثل ظاهرة جديرة بالدراسة والبحث.

وهـــذا ســـبب مـــن جملـــة أسباب أخرى دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع. ومن هذه الأسباب :

- إعجـــاب الباحث بشخصية أبى الطيب المتنبى بوصفه عربياً طموحاً غيوراً على العرب والعروبة حريصاً على تفوق هذه الأمة وتميزها.
- تقدير الباحث للدور العظيم الذى تمثل فى شعر أبى الطيب المتنبى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس، والـــذى ترك معيناً لا ينضب من الصياغة الشعرية الجديرة بالدراسة التى نهل منها الشعراء على مرِّ العصور التالية له.
- أن هذه الظاهرة الواضحة — وإن لاحظها النقاد والقدامى — لم تحظ بدراسة نقدية ضافية تجمع شتات ما تقدم من آراء النقاد وتضيف إليها ما يمكن أن يثريها من الدراسات الحديثة.
- ومـــن هـــذه الأسباب تأتى رغبة الباحث فى طرح قضية أدبية نقدية قديمة على بساط البحث العـــلمى الحديث بما أتيح له مؤخراً من جوانب لسانية وأسلوبية متطورة، لتكون هذه الدراسة نـــواة لدراسات أخرى تتبع هذا الأثر علّها تصل إلى نظريات معتبرة فى اللغة والأدب تسهم فى تكوين تصور موضوعى عن تراثنا وحضارتنا العربية الأصيلة.

وأما عن سبب اختيار القرن الخامس الهجرى خاصة، فلأنه حافل بكوكبة من الشعراء الكبار الذين اتخـــذوا من المتنبى مثالاً يحتذى، كأبى العلاء المعرى صاحب كتاب "معجز أحمد". بالإضافة إلى أن هذا القـــرن هـــو القرن التالى للمتنبى مباشرة، حيث توفى فى منتصف القرن الرابع تقريباً. وهذا الأمر يجعل البحث أكثر موضوعية وأكثر إيضاحاً لهذه الظاهرة فى الوقت نفسه.

ولأنـــنى أؤمن بضرورة النظر إلى الظاهرة الأدبية فى نطاق عصرها والاستفادة الكاملة مما أثير حولها من ملاحظات كان لزاماً علىّ أن أجمع ما تناثر من ملاحظات نقدية حول المتنبى وشعره وتأثره وتأثيره، ثم الـــنظر فى الشروح القديمة الخاصة ببعض دواوين الشعراء الذين تأثروا بالمتنبى. كشروح سقط الزند وغيرها، وكذلك النظر فى الكتب التى تعرضت للسرقات الأدبية بمفهومها القديم والتى قد تدخل فى باب "التناص" بالمفهوم الحديث، وهو ما يعنى تحاور النصوص وتبادل الأثر بينها.

وعـــلى ذلـــك فقد قامت هذه الدراسة على منهج وصفى تحليلى، ينطلق من المصطلحات البلاغية القديمـــة، ويفيد من الدراسات اللسانية والأسلوبية الحديثة، ليتناول هذه الظاهرة تناولاً علميا يسهم فى إبراز وسائل الإبداع الشعرى فى هذه المرحلة.

وتمثّلـــت مصـــادر هـــذه الدراسة فى دواوين الشعراء الذين كانوا يمثلون هذا القرن، وبعض كتب الشروح والنقد القديم. وجدير بالذكر أننى اقتصرت فى شواهدى على ألمع شعراء العصر، كما حرصت عـــند اختيار الشعراء على أن يكونوا ممثلين لكافة مناطق الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت، فكان المعرى – مثلاً – ممثلاً لمنطقة الشام، والرضى ممثلاً للعراق، والتهامى لشبه الجزيرة العربية، وظافر الحداد لمصر، وابن رشيق وابن زيدون للمغرب والأندلس.

أما عن الصعوبات التى واجهتنى فى هذا البحث فتأتى فى مقدمتها قلة الدراسات النصية التى تناولت مثل هذه الظواهر قديماً وحديثاً.

ومـــنها طـــريقة التناول التى ترددت فيها بين القديم والحديث حتى أشار أستاذنا الكريم باعتماد ما أشـــرنا إلـــيه سابقاً من الإفادة بالشروح والآراء القديمة وكذلك أن تنهض الدراسة على منهج تحليلى ينطلق من النص وينتهى إليه. فيتناول الأثر على كافة الأصعدة والمستويات.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أقسّمها إلى تمهيد وخمسة فصول :

تحدثت فى **التمهيد** عن الملامح الفنية والنقدية لعصر المتنبى، حيث إن هذا العصر أسهم إسهاماً كبيراً فى تكوين الخلفية الثقافية للشاعر.

وفى الفصل الأول : تحدثت عن موقف النقاد من المتنبى وكيف أنهم انقسموا إزاءه إلى ثلاث فرق : فرقة متحاملة، وفرقة مؤيدة متحمسة، وفرقة وسط. وقد تم تناول هذه الآراء المتباينة بصورة موضوعية.

أمـــا الفصل الثانى : فتحدثت فيه عن أثر معانى شعر أبى الطيب وقسمت هذه المعانى إلى : تقليدية ومخـــترعة، وقـــد قصـــدت بالتقليدية : تلك المعانى المعروفة التى أخذها المتنبى ممن سبقه وأضاف إليها خصوصية ما. أما المخترعة : فتلك التى ابتكرها المتنبى على غير مثال سابق.

وفى الفصـــل الثالـــث : تناولـــت أثر المتنبى فى موسيقا الشعر الذى تأثر به على كافة المستويات الموسيقية من وزن وقافية وتصريع وتقسيم وتكرار وغير ذلك.

وفى الفصـــل الرابع : تناولت أثر المتنبى على المستوى الإفرادى والتركيبى. فتناولت بعض مفردات المتنبى من خلال معجمه الشعرى ومدى تأثيرها فيمن جاء بعده من شعراء القرن الخامس. ثم انتقلت إلى المصـــاحبات اللفظية وهى كل تركيب يتكون من أكثر من كلمة ولا يمثل جملة تامة، كالجار والمجرور والصـــفة والموصوف، والمضاف والمضاف إليه. ثم انتقلت بعد ذلك إلى الجمل التامة أو التراكيب التامة التى ظهر بها أثر المتنبى فى شعر القرن الخامس، وما حدث فيها من أوجه التغيير والاستبدال عند توظيفها فى سياق جديد.

أمـــا الفصـــل الخـــامس والأخير : فأفردته لتأثير المتنبى فى مجال الصورة الشعرية، وكيف احتذى الشـــعراء صـــور المتنبى. وقسّمت هذه الصور إلى : تقليدية ومخترعة ومبالغات تصويرية، وصور توارد علـــيها الشعراء بعد المتنبى، والثنائيات الضدية. وقصدت بالمبالغات التصويرية تلك التى جاء فيها المتنبى بصور خارقة بالغ فيها.

ولمـــا كانت الحقيقة — دون غيرها — رائدى وغايتى فى هذا البحث، حاولت جهدى أن أتجنّب ما أخـــذت على الآخرين من ظلم واعتساف، فلم أتعصب لأبى الطيب أو عليه، والله تعالى أسأل أن ينفعنا بهذا العمل وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى.

تمهيد